أولاد الملك العادل الأيوبي (ت ٦١٥هـ/١٢١٧م)

The Sons of the Ayyubid Al-Maik Al-Adil (D. 615 A.H./1217 A.D.)

د. سجى مشعل رشيد
مدرس
جامعة الموصل– كلية الآداب
قسم التاريخ

Dr. Saja Mushal Rashed
Teacher
University of Mosul
College of Art
Department of History

Saja.m.r@uomosul.edu.iq

تاريخ الاستلام	تاريخ القبول
٢٠٢٢/١١/٢٨	٢٠٢٣/١/٥

الكلمات المفتاحية: العادل، أيوبي، أولاد، الكامل، بنات

Keywords: Al-Adil, Ayoubi, boys, Al-Kamil, girls

الملخص

تعرضت الدولة الأيوبية بعد وفاة الناصر صلاح الدين الأيوبي سنة (٥٨٩هـ/١١٩٣م) لمخاطر هددت كيانها ووحدتها، فقد نشبت منازعات بين أبناء البيت الأيوبي، وأهم ما تميزت به هذه الفترة بروز أخيه الملك العادل الذي سعى لإعادة الوحدة في الدولة الأيوبية.

وكان لأولاده سواء كانوا ذكوراً أم إناثاً دورٌ مهمٌ وبارز على صعيد الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وجاءت هذه الدراسة في بيان جانب من حياتهم الشخصية، أسماؤهم وعددهم وما هي الأدوار التي قاموا بها من أجل الحفاظ على الدولة الأيوبية في مواجهة التحديات الجسيمة التي واجهتها.

Abstract

After the death of Al-Nasir Salah al-Din al-Ayyubi in the year (589 AH / 1193 AD), the Ayyubid state was exposed to dangers that threatened its entity and unity. Disputes arose between the members of the Ayyubid house, and the most important characteristic of this period was the emergence of his brother, the just king, who sought to restore unity in the Ayyubid state.

And his children, whether male or female, had an important and prominent role in the political, social and economic life.

المقدمة

تعد الدولة الأيوبية واحدة من أهم الدول التي قامت في المشرق العربي بعد منتصف القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، والتي أخذت على عاتقها مقاومة الغزو الصليبي الذي احتل جزءاً من بلاد الشام. فقد وقع الاختيار على دراسة أولاد الملك العادل الذين يعتبرون من الشخصيات الأيوبية التي كان لها دور بارز ومهم في تلك الدولة أثناء حكم صلاح الدين الأيوبي وبعدهُ ذكوراً كانوا أم إناثاً.

فقد كان الملك العادل الأيوبي واحداً من أبرز سلاطين تلك الدولة ولاسيما أولئك الذين كانت لهم سياسة بارزة فيها، فقد كان لأولاده وبناته مواقف جهادية ضد الصليبيين وآراء سديدة في قيادة الدولة الأيوبية بعد وفاة صلاح الدين عبرت عن قوة شخصياتهم ورجاحة عقلهم.

واقتضت طبيعة البحث أن يأتي مقسماً على مبحثين ومقدمة وخاتمة وملحق بأسماء الأولاد والبنات. جاء المبحث الأول منها للحديث عن حياة الملك العادل، وولادته وصفاته، ونشاطه العسكري حتى وفاته. أما المبحث الثاني فعرض لأسماء الأولاد جميعاً، ثم ركّزنا على أولاد الملك العادل الثلاثة الذين كان لهم دور بارز في الحياة السياسية كونهم ملوكاً، الملك الكامل (٥٣٧-٦٣٤هـ/ ١١٧٧-١٢٣٨م) والملك المعظم (٥٧٦- ٦٢٤هـ/١١٨٠-١٢٢٧م) والملك الأشرف موسى (٥٧٨-٦٣٥هـ/ ١١٨٢-١٢٣٧م)، وأثرهم على سياسة الدولة الأيوبية من جهة، والصراع مع الجانب الصليبي من جهة أخرى. والقسم الثاني من المبحث الثاني، خصص لبنات الملك العادل فقد برزت الملكة (ضيفة) خاتون إلى جانب أخوتها الملوك في دور مهم وكبير في حكم الدولة الأيوبية.

المبحث الأول
الملك العادل الأيوبي (ت ٦١٥هـ/١٢١٧م)

هو الملك العادل أبو بكر بن أيوب بن شادي[١]. الدويني ثم التكريتي ثم الدمشقي[٢]. يكنى بأبي بكر ويلقب بسيف الدين، وينعت بالملك العادل[٣]، وعرف لدى الصليبيين باسم صفي الدين[٤]. والملك العادل أخو صلاح الدين الأيوبي لأبيه فقط وأصغر منه سناً[٥].

اختلفت المصادر في سنة ولادته، فهناك من يذكر أنه ولد عام (٥٣٤هـ/١١٣٩م)[٦]، وهناك من يذكر أنه ولد عام ٥٣٩هـ/١١٤٤م، وهو الصحيح، حيث يذكر المؤرخ سبط ابن الجوزي "سألته عن مولده فقال فتوح الرها[٧] يعني سنة ٥٣٩هـ"[٨]، وذلك كافٍ لترجيح تلك الرواية لمعاصرة المؤرخ المذكور للملك العادل وأولاده.

---

(١) شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت: د/ت): ٧٤/٥.

(٢) شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق: بشار عواد معروف، ومحيي هلال سرحان، (بيروت: ١٩٨٦): ١١٦/٢٢؛ صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، الوافي بالوفيات، باعتناء: س.ديدرينغ، (استانبول: ١٩٤٩): ٢٣٥/٢.

(٣) ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن الفرات، تاريخ ابن الفرات، تحقيق: محمد حسن الشماع، (البصرة: ١٩٧٠)، مج٥: ٢٣٢/١.

(٤) انتوني ويست، الحروب الصليبية، ترجمة: شكري محمود نديم، (بغداد: ١٩٦٧)، ص١٤١.

(٥) جمال الدين محمد بن سالم بن واصل، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق: جمال الدين الشيال، (القاهرة: ١٩٥٧): ٢٣٨/٢.

(٦) عبد القادر بن محمد النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس، تحقيق: جعفر الحسين، (دمشق: ١٩٥١): ٢٦٢/٢.

(٧) مدينة الرها: مدينة بالجزية بين الموصل وبلاد الشام بينهما ٦ فراسخ. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ١٠٦/٣-١٠٧.

(٨) مرآة الزمان، ق٢: ٥٩٤/٨.

وفضلاً عن اختلاف المؤرخين في سنة ولادته فإنهم يختلفون أيضاً في المدينة التي ولد بها الملك العادل، فالذهبي[١] يشير إلى أنه ولد في مدينة بعلبك، عندما كان أبوه نائباً لعماد الدين زنكي. وهناك مَن يذكر أنه ولد في مدينة دمشق[٢]، وهو أمر مستبعد لأن والده نجم الدين أيوب لم تكن له صلة بدمشق عام (٥٣٧هـ/١١٤٢م)[٣]، أما سبط ابن الجوزي[٤] فيذكر أنه ولد عام (٥٣٩هـ/١١٤٤م)، بينما يرى المنذري أنه ولد عام (٥٣٨هـ/١١٤٣م)[٥]، بينما يعتقد ابن الأثير[٦] بأن ولادته كانت عام (٥٤٠هـ/١١٤٥م)، أما ابن قاضي شهبة[٧]، فيذكر أنه ولد عام (٥٤٢هـ/١١٤٧م)، بينما ينفرد ابن اياس[٨] بجعل ولادة الملك العادل عام (٥٦٤هـ/١١٦٨م).

ويظهر التناقض واضحاً في الروايات، لعدم وجود اتفاق بين المؤرخين حول تثبيت السنة الصحيحة لمولده، ومن خلال استقراء الروايات يبدو أن ولادته كانت عام (٥٣٩هـ/١١٤٤م)، حتى مقتل عماد الدين زنكي عام (٥٤١هـ/١١٤٦م)[٩]، لذا فالمرجح أنه ولد في مدينة بعلبك.

---

(١) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والإعلام، تحقيق: بشار عواد معروف وآخرون، (بيروت: ١٩٨٨)، الطبعة ٦٢، ص ٢٤٧.

(٢) ابن خلكان، وفيات الأعيان: ٧٨/٥.

(٣) شهاب الدين أبو اسحق بن ابراهيم بن أبي الدم، التاريخ الإسلامي المختصر، تحقيق: جزيل عبد الجبار الجومرد، اطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة سانت اندروز، اسكوتلندا: ١٩٨٤، ص ٤٦١.

(٤) زكي الدين أبو محمد بن عبد العظيم، التكملة لوفيات النقلة، تحقيق: بشار عواد معروف، (النجف: ١٩٧١): ٢٣٦/٤.

(٥) شمس الدين أبي المظفر يوسف، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، (الهند: ١٩٥١)، ق٢: ٥٩٤/٨.

(٦) عز الدين أبي الحسن علي بن محمد بن محمد، الكامل في التاريخ، (بيروت: ١٩٦٦): ٣٥١/١٢.

(٧) الكواكب الدرية في السيرة النورية، تحقيق: محمود زايد، (بيروت: ١٩٧١)، ص ١٢٥.

(٨) بدائع الزهور في وقائع الدهور، (القاهرة: ١٩٦٠): ٦١/١.

(٩) جزيل عبد الجبار الجومرد، الأسرة الأيوبية ودورها في تثبيت حكم صلاح الدين في مصر (٥٦٤-٥٦٧هـ/١١٦٩-١١٧١م)، مجلة التربية والعلم، (الموصل: ١٩٨٩)، العدد الثامن، ص ١١٧.

ينتمي الملك العادل للبيت الأيوبي، الذي يرجع بأصوله إلى نجم الدين أيوب بن شاذي، وهم من الأكراد الروادية من بلدة دوين في أذربيجان[١]، وقد دخلت الأسرة الأيوبية في كنف الحياة العربية الإسلامية بمدنها المختلفة، ونشأت بينها وتثقفت بالثقافة العربية الإسلامية[٢].

وقد اشتهر الملك العادل بالعديد من الصفات فكان نبيلاً، حازماً، سديد الآراء، ذا عقل ودهاء، خليقاً للملك، حليماً[٣]، واسع المعرفة، بعيد النظر، قوي البنية[٤]، وصفه بعض المؤرخين بأنه "أصغر الأخوة، وأطولهم عمراً، وأعمقهم فكراً، وأنظرهم في العواقب"[٥].

كما أنه كان ملتزماً بالعقيدة الإسلامية صالحاً[٦]، يتصدق على الفقراء خاصة في أوقات الأزمات[٧]، ومع ذلك فهناك مَن يصف الملك العادل بالبخل[٨]، حتى قال فيه أحد الشعراء المعاصرين:

إن سلطاننا الذي نرتجيه واسع المال ضيق الإنفاق
هو سيف كما يقال ولكن قاطع للرسوم والأرزاق[٩]

وهناك مَن يفسر ذلك الاتهام اعتماده على سياسة اقتصادية متوازنة، حيث يؤكدون بأنه كان "كثير البذل والخرج وقت الحاجة لا يقف في شيء، وأما في غير الحاجة فلا[١٠].

---

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٣٤١/١١.

(٢) دريد عبد القادر نوري، سياسة صلاح الدين الأيوبي في بلاد مصر والشام والجزيرة، (بغداد: ١٩٧٦)، ص ٦٢-٦٤.

(٣) ابن واصل، مفرج الكروب، تحقيق: جمال الدين الشيال، (الإسكندرية: ١٩٦٠): ٢٧٣/٣.

(٤) ستانلي لين بول، سيرة القاهرة، ترجمة: حسين ابراهيم حسن وآخرون، (القاهرة: ١٩٥٠): ص ١٧٠.

(٥) الذهبي، تاريخ الإسلام، الطبقة ٦٢، ص ٢٥٠؛ جمال الدين أبو المحاسن بن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، (القاهرة: د/ت): ١٦٦/٦.

(٦) الذهبي، سير أعلام: ١١٨/٢٢.

(٧) الذهبي، تاريخ الإسلام، الطبقة ٦٢، ص ٢٥١.

(٨) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة: ١٦٦/٦.

(٩) شرف الدين أبي المحاسن محمد بن نصر المشهور بابن عنين، ديوان ابن عنين، تحقيق: خليل مردم بك، (دمشق: ١٩٤٦)، ص ٢٣٩.

(١٠) ابن واصل، مفرج الكروب: ٢٧١/٣.

فتغيرت عليهم العادة دفعة واحدة، ثم أن وزيره ابن شكر بالغ في الظلم وتفنن[١].

أما بالنسبة لنشاط الملك العادل العسكري حتى عام (٥٦٩هـ/١١٧٣م)، فقد أكدت المصادر على اشتراكه في الحملات التي أرسلها نور الدين إلى مصر[٢]، تمهيداً لضمها إلى جبهة الوحدة ضد الصليبيين.

وبالرغم من أن المصادر لا تحدد في أية حملة اشترك الملك العادل تحديداً[٣]، لكن من المرجح أنه اشترك في جميع الحملات، فضلاً عن أن عمه أسد الدين شيركوه كان قائداً لتلك الحملات.

فضلاً عن أن بعض الشعراء يمدحون مَن يغدق عليهم المال، ويذمونه إذا لم يعطهم، فنرى الشاعر ابن عنين يمدح الملك العادل في بعض قصائده[٤]، كما أن الذهبي يذكر أن الملك العادل "مع حرصه يهين المال عند الشدائد غاية الإهانة ويبذله"[٥]. كما أن الملك العادل قام بتكفين ثلاثمائة ألف شخص في إحدى المجاعات في مصر[٦]، ومع أن تلك مبالغة من قبل المؤرخين إلا أنها تدل على الكرم والإنسانية وصرف الأموال في وقت الحاجة وعند الضرورة من غير إسراف.

وهناك مَن يشير إلى أن الملك العادل لم يكن محبباً إلى الرعية، وأن جنده قاموا بعدة محاولات لقتله كان نتيجتها الفشل، وقد أشار الذهبي إلى ذلك الأمر بقوله "ولم يكن (أي الملك العادل) -رحمه الله- بالمنزلة المكروهة، وإنما كان الناس قد ألفوا دولة صلاح الدين وأولاده، كان من نتائج سيطرة قوات نور الدين على مصر، زوال الدولة الفاطمية وإعادة الخطبة للعباسيين في مصر[٧]، وبروز شخصية صلاح

(١) تاريخ الإسلام، الطبقة ٦٢، ص ٢٥١.

(٢) أرسل نور الدين ثلاث حملات إلى مصر في الأعوام (٥٩٩هـ/١١٦٣م) و(٥٦٢هـ/١١٦٦م) و(٥٦٤هـ/١١٦٨م)، والتي انتهت بسيطرة قوات نور الدين على مصر. ينظر: الفتح بن علي البنداري، سنا البرق الشامي، تحقيق: فتحية نبراوي، (القاهرة: ١٩٧٩)، ص ٣٩-٤٢.

(٣) ابن خلكان، وفيات الأعيان: ٧٤/٥.

(٤) ينظر: ديوان ابن عنين، ص ٣-٩.

(٥) تاريخ الإسلام، الطبقة ٦٢، ص ٢٥٤.

(٦) الصفدي، الوافي بالوفيات: ٢٣٥/٢-٢٣٦.

(٧) أرست باركر، الحروب الصليبية، ترجمة: الباز العريني، (بيروت: ١٩٦٧)، ص ٨٠.

الدين على مسرح الأحداث السياسية[١]، فتم تطويق الصليبيين في الشام لوقوعهم بين أملاك نور الدين في الشام ومصر التي أصبحت في حوزة صلاح الدين[٢].

وتم تشكيل تحالف صليبي-بيزنطي للهجوم على مصر فوصلت قوات ذلك الحلف إلى مدينة دمياط في عام (٥٦٥هـ/١١٦٩م)[٣]، وحاصرت تلك القوات مدينة دمياط لمدة خمسين يوماً[٤]. وساهم الملك العادل في الدفاع عن دمياط ضد الصليبيين والذين فشلوا في الاستيلاء عليها[٥].

ويبدو أن الملك العادل جاء بصحبة أبيه وأخوته إلى مصر في عام (٥٦٥هـ/١١٦٩م)[٦]. وقد توفي الملك العادل بعالقين[٧]، في (٧) جمادي الآخرة عام (٦١٥هـ/١٢١٨م)، ودفن بمقبرتها في دمشق[٨].

---

(١) سعيد عبد الفتاح عاشور، أضواء جديدة على الحروب الصليبية، (القاهرة: ١٩٦٤)، ص ٣١؛ الحمداني، هيثم محمود يونس طيبان، الملك العادل الأيوبي دراسة سياسة عسكرية (٥٧٠-٦١٥هـ/١١٧٤-١٢١٨م)، رسالة ماجستير غير منشورة، مقدمة إلى مجلس كلية الآداب، جامعة الموصل، ٢٠٠٢، ص ١٥.

(٢) الباز العريني، الشرق الأوسط والحروب الصليبية، (القاهرة: ١٩٦٣): ٧١٦/١.

(٣) العريني، الشرق الأوسط: ٧١٩/١؛

Rene.Grossest, Historie des croisdeset Duroyaume frame De Gerusalem, (Paris: 1935), 11, p.544.

(٤) جلال الدين السيوطي، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، (القاهرة: ١٩٦٨): ٥/٢.

(٥) المنذري، التكملة: ٣٢٧/٤.

(٦) عبد المنعم ماجد، الناصر صلاح الدين الأيوبي، (القاهرة: ١٩٥٨)، ص ٨٥.

(٧) عالقين: قرية بالقرب من دمشق. ينظر: عز الدين بن عبد الله بن علي بن ابراهيم بن شداد، الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، تحقيق: يحيى عبارة، (دمشق: ١٩٧٨)، ق٢: ٨٠٩/٣.

(٨) كمال الدين أبي القاسم عمر بن احمد بن هبة الله بن العديم، زبدة الحلب في تاريخ حلب، تحقيق: سلمى الدهان، (بيروت: ١٩٦٨): ١٨٤/٣؛ ابن اياس، بدائع الزهور: ٦٢/١.

قام الملك العادل بتنظيم أمور دولته، فعين ابنه الكامل ولياً لعهده ونائباً عنه في مصر، كما أبقى دمشق لابنه المعظم عيسى، وفي حران ولاّها ابنه الملك الأشرف موسى، وتولى ابنه الأوحد أيوب حكم ميافارقين، في حين تولى ابنه الآخر الملك الحافظ أرسلان شاه[١].

(١) ابن واصل، مفرج الكروب: ١٣٣/٣؛ ابن الفرات، تاريخ، مج: ٢٢٧/٢.

المبحث الثاني

أولاد الملك العادل الأيوبي (٦١٥هـ/١٢١٧م)

القسم الأول: أولاد الملك العادل الأيوبي

كان للملك العادل عدة أولاد، ذكور وإناث، "ستة عشر ولداً ذكراً، سوى البنات...، حيث سلطن الذكور، وزوج بناته بملوك الأطراف"(١). وفيما يلي أسماؤهم:

الملك الأوحد نجم الدين أيوب(٢)، صاحب خلاط(٣)، توفي في حياة والده (٦٠٧هـ/١٢١٠م). والملك المغيث عمر، توفي أيضاً في حياة أبيه، وخلف المغيث ولداً صغيراً، وهو الملك المغيث شهاب الدين محمود، كان جميل الصورة جداً، ومات في سنة (٦٣٠هـ/١٢٣٢ م)(٤). والملك الجواد شمس الدين مودود، وتوفي في حياة أبيه، وخلف ولده الملك الجواد مظفر الدين يونس بن مودود، وكان في خدمة الملك الكامل ناصر الدين محمد صاحب الديار المصرية، وصاحب الخطبة والسكة في جميع الممالك الأيوبية(٥)، والملك المعظم شرف الدين أبو العزائم عيسى، صاحب دمشق وبلادها إلى عريش مصر(٦). وشقيقاه: الملك العزيز عماد عثمان(٧)، صاحب بانياس، وعدة مواضع كانت بيد فخر الدين جهاركس، وكان جواداً شهماً(٨). والملك الأمجد مجد الدين حسن، وتوفي في حياة والده، ودفن في القدس الشريف في مدرسة بنيت له، ثم نقل بعد ذلك إلى الكرك فدفن بجوار الشهداء بمؤتة(٩). والملك الأشرف مظفر الدين موسى(١٠). صاحب البلاد الشرقية وخلاط بعد أخيه الملك الأوحد. والملك المظفر شهاب الدين غازي صاحب ميافارقين(١١) وحصن منصور وغير ذلك، وكان

---

(١) ابن مواصل، مفرج الكروب: ٢٧٤/٣.

(٢) أبو الفداء، المختصر: ١٠٨/٣.

(٣) خلاط: وهي قصبة أرمينيا الوسطى، لها بحيرة. شهاب الدين بن عبدالله الرومي ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، (بيروت، ١٩٥٧م)، ٣٨٠/٢-٣٨١.

(٤) ابن تغري بردي، النجوم: ١٧٢/٦.

(٥) ابن واصل: ٢٧٤/٣.

(٦) الذهبي، سير: ٣٨٥/١٦.

(٧) ابن واصل، مفرج الكروب، ١١٦.

(٨) ابن خلكان، وفيات: ٥٢٤/٢.

(٩) الذهبي، سير: ٢٤٣/١٦.

(١٠) ابن خلكان، وفيات الأعيان: ٣٣٠/٥.

(١١) الذهبي، سير: ١٣٠/١٦.

ملكاً جواداً، حازماً، شهماً، شجاعاً، مهيباً، حلو المحاضرة، حسن الجملة، كبير الشأن[١]. وشقيقاه: الملك المعز مجير الدين يعقوب[٢]. وتاج الملوك إسحاق[٣]. والملك الصالح عماد الدين إسماعيل، وملكَ بعدَ أبيهِ بُصرى، وملك بعد ذلك دمشق وبعلبك. والملك المفضل قطب الدين[٤]، وتوفي بمصر في أيام الملك الكامل. والملك الفائز ابراهيم[٥]. والملك الأمجد تقي الدين عباس، وهو أصغرهم، ومولده سنة (٦٠٣هـ/١٢٠٦م) وهو آخرهم موتاً، توفي بدمشق في سنة (٦٦٩هـ/١٢٧١م). والملك الحافظ نور الدين أرسلان شاه[٦].

سنذكر أبناء الملك العادل الذين ساعدوا آباهم في الحكم، وكان لهم دور كبير في الدولة الأيوبية حسب تقدم الوفاة:

١. الملك الأوحد (ت ٦٠٧هـ/١٢١٠م) وقد كان للملك الأوحد دور هام في حياة أبيه خاصة مع المناوئين من البلاد الشرقية[٧].
٢. الملك الفائز ابراهيم بن العادل (ت ٦١٧هـ/١٢٢٠م).
٣. الملك المُعظَّم عيسى (ت ٦٢٤ هـ/١٢٢٧م).
٤. الملك الأشرف مظفر الدين موسى (ت ٦٣٥هـ/١٢٣٧م).
٥. الملك الكامل (ت ٦٣٥هـ/١٢٣٧م).
٦. الملك المظفر شهاب الدين غازي (ت ٦٤٢هـ/١٢٤٥م).

وقد كان لهؤلاء الملوك دور هام في الوقوف في وجه المناوئين خارج البيت الأيوبي، وخاصة البيت العادلي بعد وفاة والدهم الملك العادل، وخاصة للملك المعظم[٨]، والملك الأشرف[٩]، والملك الكامل[١٠]، والملك المظفر[١١].

---

(١) ابن واصل، مفرج الكروب: ٣٤٥/٥-٣٤٦.
(٢) الصفدي، الوفي بالوفيات: ١١٨/٢٨.
(٣) ابن واصل/ مفرج الكروب: ٢٧٥/٣.
(٤) الصفدي، الوافي بالوفيات: ٢٣٦/٧.
(٥) ابن واصل، مفرج الكروب: ٤/٣، ١١٦، ١٢٧.
(٦) المصدر نفسه: ٢٧٥/٣.
(٧) أبو الفداء، المختصر: ٩٤/٣.
(٨) ابن واصل، مفرج الكروب: ٨٧/٤، ١١٧.
(٩) المصدر نفسه: ٧١/٤-٧٤.
(١٠) المصدر نفسه: ٢٢٧/٣، ١٢١/٤.
(١١) المصدر نفسه: ٨٩/٤-٩٠.

الملك الكامل (٥٧٣هـ-٦٣٥هـ/١١٧٧-١٢٣٨م):

هو أبو المعالي محمد بن العادل أبو بكر محمد بن أبي الشكر بن شاذي بن مروان الدويني التكريتي ثم الدمشقي[١]، لقب بالملك الكامل، ناصر الدين، أبي المعالي، أبي المظفر[٢]، وقد ذكر كنيته بأبي الفتح عماد الدين[٣].

ولد الملك الكامل عام (٥٧٣هـ/١١٧٧م)[٤] وبدأ حياته السياسية على ما يبدو عام (٥٨٧هـ/١١٩١م)[٥] عندما كان مرافقاً لوالده في المشرق، ويُعد أكبر أخوته بعد أخيه مودود[٦]، الذي توفي في حياة والده الملك العادل[٧].

ولم تتحدث المصادر عن حياته المبكرة بشيء، ولكنها أشارت إلى بعض صفاته العامة من حياته السياسية والشخصية فقد ذكرت عنه "العدل والتمسك بالدين...مع الكرم والحياء"[٨]، وبعد توليه الحكم وصف بأنه كان "سلطاناً" جليل القدر محترماً جميل الذكر حازماً في أموره لا يضع الشيء إلا في محله من غير إسراف ولا اقتاراً"[٩].

شبهت الفترة الزمنية لحكم الملك العادل بحكم معاوية بن أبي سفيان عام (٤١-٦٠هـ/ ٦٦١-٦٨٠م)[١٠] فإنه ولي الشام عشرين سنة أخرى وكذلك الملك الكامل حكم مصر أربعين سنة، عشرون منها في أثناء حكم أبيه الملك العادل، وعشرون منها بعد وفاته[١١]. ولم يخلف الملك الكامل رجلاً قادراً على إدارة الدولة الأيوبية، يرتفع إلى مستوى المسؤولية لإدارة البلاد فقد تجدد الخلاف بين الأمراء الأيوبيين في جميع أقاليم الدولة، فضلاً عن النزاع بين أولاده

---

(١) ابن خلكان، وفيات الأعيان: ٧٩/٥.

(٢) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة: ٢٢٧/٦.

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية: ١٤٩/١٣.

(٤) ابن المستوفي، تاريخ اربيل: ٤١٢/٢٥؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان: ٥٠٧/٨.

(٥) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة: ٢٢٨/٦.

(٦) ابن ايبك، كنز الدرر: ٣٢٦/٧.

(٧) ابن واصل، مفرج الكروب: ٢٧٤/٣.

(٨) ابن المستوفي، تاريخ أربل: ق٣٢٦/٢.

(٩) أبو محمد عبدالله بن أسعد المكي اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان، (الهند: ١٣٣٩هـ)، ٩٠/٤.

(١٠) علي بن احمد الأندلسي، جوامع السيرة وخمس رسائل أخرى لابن حزم، ط١، (مصر، دار المعارف)، ٢٠١٠، ص٣٥٦.

(١١) الحنبلي، شفاء القلوب، ٣٢٠.

للحصول على السلطة[١]، وبذلك يمكن أن تعد وفاة الملك الكامل عام (٦٣٥هـ/١٢٣٨م)[٢]، بداية لنهاية الدولة الأيوبية ومظهراً من مظاهر سقوطها[٣].

الملك المعظم عيسى (٥٧٦هـ-٦٢٤هـ/١١٨٠-١٢٢٧م):

هو عيسى بن محمد بن نجم الدين أيوب بن شاذي بن مروان الأيوبي، الملك المعظم عيسى أبو العزائم[٤]، ولد في مدينة القاهرة عام (٥٧٦هـ/١١٨٠م)[٥]، في حين جعل بعض المؤرخين وكتّاب التراجم سنة مولده عام (٥٧٨هـ/١١٨٢م)[٦]، والقول الأول هو الثابت والأرجح، وأمه أم ولد تركية الأصل، تعرف بالخاتون[٧]، نشأ المعظم عيسى في حياة ورعاية أبيه الملك العادل في مدينة القاهرة، وبها ترعرع[٨]، ثم انتقل إلى مدينة دمشق وهو صغير السن، وتولى العناية به وتأديبه فيها فلك الدين سليمان بن شروة بن جلدك، وهو أخو العادل لأمه[٩]. وفيها اكتمل تكوينه فحفظ القرآن الكريم في صباه[١٠]، وتلقى فنون المعرفة على أشهر علماء عصره من فقهاء، وأدباء، ونحاة، ومحدثين، ومن بين هؤلاء تاج الدين الكندي[١١]، والذي كان المعظم عيسى دائم الاشتغال والتعلم عليه[١٢]، فأخذ عنه كتاب سيبويه[١٣]، في

(١) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٧٠٧/٨.

(٢) المصدر نفسه: ٧٠٦/٨.

(٣) العريني، الشرق الأدنى، ١٣٣؛ الصائغ، ذكرى عزيز محمد صالح، عصر الملك الكامل الأيوبي، كلية الآداب، جامعة الموصل، ١٩٨٨، رسالة ماجستير غير منشورة، ١٤.

(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٤٧٢/١٢؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، مج ٤٩٣/٣.

(٥) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ق٢/ج٦٤٤/٨؛ النويري، نهاية الأرب، ١٤٣/٢٩.

(٦) ابن خلكان، وفيات الأعيان، مج٤٩٣/٣.

(٧) النعيمي، الدارس: ٥٨١/١.

(٨) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ق٢/ج٦٤٤/٨.

(٩) هو تاج الدين زيد بن الحسن بن زيد الكنوي أبو اليمنى البغدادي، ولد في سنة (٥٢٠هـ/١١٢٦م) في بغداد ونشأ بدمشق، وكان إماماً في النحو واللغة، توفي سنة (٦١٣هـ/١٢١٦م). للمزيد ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، مج٣٣٩/٢-٣٤٢.

(١٠) النعيمي، الدارس، ج٥٧٩/١.

(١١) ابن واصل، مفرج الكروب: ج١٢٥/٢.

(١٢) النعيمي، الدارس: ج٤٨٤/٢.

(١٣) ابن خلكان، وفيات الأعيان، مج٣: ٤٦٣-٤٦٥.

النحو وشرحه للسيرافي[١]، وقرأ الحماسة لأبي تمام والإيضاح في النحو والحجة في القراءات لأبي علي الفارسي[٢].

أثنى معظم المؤرخين وكتّاب التراجم والسير على المعظم عيسى ثناءً جميلاً لشجاعته وتواضعه وحسن سيرته[٣]، فذكروا أنه شجاع، مقدام، شديد البأس، مهيب[٤]، حازمٌ و غيور، ومحسنٌ للرعية، مدافعاً عنهم، يعرف أفراد رعيته كبيرهم وصغيرهم، فكان يضرب به المثل وإذا فُعل فعل لا تكلف فيه، فقد قيل "فعل المعظمي"[٥].

تقسم أدوار حياة الملك المعظم عيسى في السلطة الأيوبية إلى دورين أساسيين، الأول: أثناء حياة أبيه الملك العادل إذ عيّنه نائباً عنه في الكرك عام (٥٩٤هـ/١١٩٨م)، ثم ولّاه دمشق عام (٥٩٧هـ/١٢٠٠م)[٦]، والثانية: بعد وفاة والده واستقلاله بحكم دمشق في الفترة الواقعة ما بين (٦١٥-٦٢٤هـ/١٢١٨-١٢٢٧م)، وقد بلغت مدة حكمه لدمشق وبشكل مستقل حوالي تسع سنوات وشهوراً، ولقد حدثت فيها مجموعة كبيرة من الأحداث كان لها أثرها على العالم الإسلامي والعالم الأوربي[٧]، كانت حدود مملكته تمتد ما بين حمص في بلاد الشام والعريش في مصر، ويدخل في ذلك المناطق الساحلية وغور الأردن وفلسطين والقدس والكرك والشوبك وصرفد[٨].

توفي الملك المعظم عيسى عام (٦٢٤هـ/١٢٢٧م) بمدينة دمشق[٩] وكان عمره تسعاً وأربعين سنة[١٠]، وخلف الملك المعظم عيسى ثلاثة أولاد ذكور هم:

الملك الناصر داود (ت ٦٥٦هـ/١٢٥٨م)[١١]، والملك المغيث شهاب الدين عبد العزيز (ت ٦٤٩هـ/١٢٥١م)، والملك القاهر بهاء الدين بن عبد الملك (ت ٦٤٧هـ/١٢٤٩م)، وخلّف

---

(١) النعيمي، الدارس: ج٢/٥٨٣.

(٢) المصدر نفسه: ج٢/٥٨٣.

(٣) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان: ق٢/ج٨/٦٥١.

(٤) ابن خلكان، وفيات الأعيان: مج٣/٤٩٤.

(٥) ابن واصل، مفرج الكروب: ج٤/٢١٠.

(٦) المقريزي، السلوك: ج١/٢٦٥.

(٧) ابن خلكان، وفيات الأعيان: مج٣/٤٩٤.

(٨) ابن واصل، مفرج الكروب: ج٤/٢٠٩.

(٩) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ق٢: ج٨/٦٤٨.

(١٠) ابن واصل، مفرج الكروب: ج٤/٢٠٨.

(١١) المصدر نفسه: ج٤/٢١٨-٢٢٠.

من البنات سبعاً[١]، تزوج إحداهن السلطان جلال الدين منكبرتي الخوارزمي[٢]، وتزوج المعظم عيسى بثلاث نسوة اثنتان تركيتا الأصل، وواحدة رومية[٣].

الملك الأشرف (٥٧٨-٦٣٥هـ /١١٨٢-١٢٣٧م):

هو أبو الفتح مظفر الدين وقيل شرف الدين موسى بن الملك العادل محمد بن أيوب، من ملوك الأيوبيين، ولد في القاهرة وقيل في الكرك عام (٥٧٨هـ/١١٨٢م)[٤].

بدأ حياته السياسية في عهد أبيه الذي ولّاه عام (٥٩٨هـ/١٢٠٢م) حكم الرها ثم أضيفت إليه حرَّان[٥]، تزوج الأشرف أخت نور الدين أرسلان شاه بن مسعود الزنكي، صاحب الموصل، وفي عام (٦٠٦هـ/١٢١٠م) ضم الملك العادل إلى الأشرف حكم الخابور ونصيبين[٦] بعد أن استخلصهما من صاحب سنجار، وضم الأشرف خلاط وميافارقين عام (٦٠٩هـ/١٢١٣م)، بعد وفاة أخيه الملك الأوحد نجم الدين أيوب، وحينما توفي والده الملك العادل عام (٦١٥هـ/ ١٢١٨م) كان القسم الأكبر من الجزيرة الفراتية تحت سيطرته فكان ينتقل بين حواضرها وأكثر إقامته بالرقة لكونها على الفرات[٧].

توفي الأشرف سنة (٦٣٥هـ/١٢٣٧م) وصارت دمشق من بعده إلى الصالح عماد الدين اسماعيل، ثم سيطر عليها الكامل، فتولى دمشق العادل ابن الكامل، حيث كان نائباً عنه في دمشق ابن عمه الجواد بن ممدود في السلطنة[٨].

---

(١) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ق٢: ج٨/٦٥٢.

(٢) ابن واصل، مفرج الكروب: ج٤/٢١٩.

(٣) المصدر نفسه: ج٤/٢١٩.

(٤) ابن خلكان، وفيات الأعيان: ٥/٣٣٠؛ أبو شامة، الذيل: ٥/١٦٥.

(٥) ابن واصل، مفرج الكروب: ٣/٢٦٩.

(٦) مدينة نصيبين: مدينة من بلاد الجزيرة تقع على طريق القوافل من الموصل إلى بلاد الشام، بينها وبين سنجار ٩ فراسخ، وبينها وبين الموصل ٦ أيام. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٥/٢٨٨-٢٨٩.

(٧) أبو شامة، الروضتين: ١/١٣٠.

(٨) ابن واصل، مفرج الكروب: ٤/٢٨٤.

القسم الثاني: بنات الملك العادل الأيوبي(*)

كان للملك العادل عدة بنات ظهر لمعظمهن دور كبير ومؤثر خلال ذلك العصر، إذ أسهمن في إثراء الحياة العلمية والدينية والاجتماعية، اما في الجانب السياسي اقتصر دورهنَّ فقط على (ضيفة) خاتون. ويقول ابن واصل في ذكر أولاد الملك العادل الأيوبي "كان للملك العادل فيما أعلم ستة عشر ولداً ذكراً سوى البنات"(١)، ولم يحدد عدد هؤلاء البنات.

في حين ذكر ابن واصل أربعاً من بنات الملك العادل الأيوبي(٢):

غازية خاتون:

ابنة الملك العادل الأيوبي، تزوجها ابن عمها الظاهر غازي(٣) يوم الأربعاء ٢٦ رمضان عام (٥٨٣هـ/١١٨٧م)، وكانت الزوجة الأولى للظاهر غازي، وصداقها خمسون ألف دينار(٤)، زوجه بها والده صلاح الدين(٥)، بينما جعل ابن واصل تاريخ الزواج عام (٥٨٢هـ/١١٨٦م) ، وفي كِلا التاريخين كان صلاح الدين في دمشق (٥٨٣هـ/١١٨٧م)، بدأت مرحلة جديدة، حيث يمكن أن يعد ابتداء هذا التاريخ جهاداً شاملاً ضد الصليبيين.

(*) وقد سبق للباحثة أن درست دور النساء الأيوبيات في رسالة الماجستير الموسومة (النساء الأيبوبيات ودورهنَّ الحضاري في بلاد الشام في العهد الأيوبي)، جامعة الموصل، كلية الآداب، قسم التاريخ، ٢٠١٠. ويمكن الرجوع للرسالة في هذا الشأن.

(١) مفرج الكروب: ٢٧٣/٣.

(٢) المصدر نفسه: ٢٧٤/٣.

(٣) الظاهر غازي: بن صلاح الدين الأيوبي ولد بالقاهرة عام (٥٦٨هـ/١١٧٢م)، وهي السنة الثانية من استقلال أبيه بالديار المصرية، توفي عام (٦١٣هـ/١٢١٦م)، وكان عمره ٤٤ عاماً، ومدة حكمه في حلب ٣١ عاماً. للمزيد ينظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ق٨: ٥٧٩/٢؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان: ٦/٤-٩.

(٤) ياسين بن خير الله العمري، الروضة الفيحاء في تواريخ النساء، تحقيق: رجاء محمود السامرائي، دار الجمهورية، (بغداد، ١٩٨٧)، ص ٢٧٩.

(٥) ابن العديم، زبدة الحلب: ٩١/٣.

ملكة خاتون:

ابنة الملك العادل الأيوبي[١]، زوجة الملك المنصور محمد صاحب حماة[٢]، تزوجها عام (٥٩٦هـ/١١٩٩م)، بعد أن نصّبه صلاح الدين عام (٥٨٧هـ/١١٩١م)، قائماً على أملاك والده في حماة بشفاعة العادل، فبعد وفاة والده الملك المظفر عام (٥٨٧هـ/١١٩١م)، أرسل ابنه الملك المنصور صلاح الدين واشترط عليه فغضب صلاح الدين فما كان من المنصور، إلا أن بعث إلى الملك العادل واشترط عليه فغضب صلاح الدين الأيوبي، فما برح الملك العادل بأخيه صلاح الدين يراجعه ويشفع في الملك المنصور، حتى أجابه صلاح الدين، وأقر له بالملك على حماة وسلمية والمعدة ومنبج وقلعة نجم[٣].

ولقد أنجبت ملكة خاتون ابنين، هما: محمود وقلج أرسلان، الأول هو الملك المظفر تقي الدين محمود[٤]، بن الملك المنصور، وسماه أول الأمر عمر، أي على اسم جده عمر الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب بن شاذي، ولكن سمي بعد ذلك محموداً وكانت ولادته في قلعة حماة عام (٥٩٩هـ/١٢٠٢م)[٥].

---

(١) ابن واصل، مفرج الكروب: ١٣٤/٣؛ الحنبلي، شفاء القلوب، ص ٣٢٧.

(٢) الملك المنصور: محمد بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب بن شاذي، ملك حماة، توفي عام (٦١٧هـ/١٢٢٠م)، وعمره ٥٠ عاماً، ومدة ملكه ٢٩ عاماً. للمزيد ينظر: ابن واصل، مفرج الكروب: ١١٤/٣.

(٣) قلعة نجم: قلعة حصينة مُطلة على نهر الفرات وهي معروفة بجسر منبج، تعبر عليه القوافل من حران إلى بلاد الشام، بينهما وبين منبج ٤ فراسخ. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٣٩١/٤؛ أبو شامة، كتاب الروضتين: ١٧٠/٤/٢؛ أبو الفداء، المختصر: ٨٠/٣؛ علي نجم عيسى، حماة في ظل الأيوبيين، ٥٧٠-٧٤٢هـ/١١٧٤-١٣٤١م، دراسة سياسية حضارية، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٩، ٣٢.

(٤) الملك المظفر: محمود بن محمد بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب بن شاذي، ولد عام (٦١٦هـ/١٢١٩م)، جعله والده ولي للعهد، تسلم حكم حماة عام (٦٢٦هـ/١٢٢٨م)، مدة حكمه على حماة ١٥ عام و٧ أشهر وعشرة أيام، توفي عام (٦٤٢هـ/ م). للمزيد ينظر: أبو الفداء، المختصر: ١٧٣/٣؛ ابن الوردي، تاريخ: ٥٢/٢.

(٥) ابن واصل، مفرج الكروب: ١٤٧/٣.

وفي العام التالي أي عام (٦٠٠هـ/١٢٠٣م)، وَلَد للملك الناصر صلاح الدين قلج أرسلان[١]. توفيت ملكة خاتون عام (٦١٦هـ/١٢١٩م)، وحزن عليها زوجها المنصور حزناً عظيماً ولبس الحداد[٢].

زوجة الملك العزيز:

وهي من بنات الملك العادل، ولا تورد المصادر أي إشارة إلى اسمها أو مولدها، وتكتفي بالقول بأنها تزوجت الملك العزيز بن صلاح الدين[٣]، عام (٥٩٠هـ/١١٩٤م)[٤] بينما اختيها غازية وضيفة اللتين تزوجتا الملك الظاهر تباعاً، وبذلك يكون الملك العادل قد زَوَّج ثلاث من بناته لأبناء أخيه صلاح الدين الأيوبي.

أناب الملك العزيز القاضي المرتضى محمد بن القاضي الجليس عبد العزيز السعدي وكيلاً عنه، وحضر قاضي القضاة محي الدين بن الزكي[٥]، وجميع عدوله، ووكل الملك العادل القاضي محي الدين حامد بن الشيخ شرف الدين بن أبي عصرون في تزويج ابنته من ابن عمها الملك العزيز، وكتب عماد الدين الكاتب العقد في ثوب أطلس[٦].

---

(١) قلج أرسلان: ملك حماة عام (٦١٧هـ/١٢٢٠م)، ولم يكن المعهود إليه بالحكم في حماة، وإنما العهد للمظفر محمود، وفي عام (٦٢٦هـ/١٢٢٨م)، قام الملك الكامل بانتزاع حماة منه غصباً، وملكها أخوه المظفر، توفي عام (٦٣٥هـ/١١٣٧م). الحنبلي، شفاء القلوب، ٣٩٦-٣٩٧.

(٢) ابن واصل، مفرج الكروب: ٤/٦٥؛ أبو الفداء، المختصر: ٣/١٢٤.

(٣) الملك العزيز عثمان بن يوسف بن أيوب، ولد عام (٥٦٧هـ/١١٧١م) بمصر، وهو شقيق الأعز يعقوب والملك المعظم، توفي عام (٥٩٥هـ/١١٩٨م)، وكان عمره ٢٧ عاماً، ومدة ملكه على مصر ٦ أعوام. للمزيد ينظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان: ١/٨/٤٦٠؛ ابن واصل، مفرج الكروب: ٣/٨٢.

(٤) الحنبلي، شفاء القلوب، ٢٣٥-٢٥١.

(٥) هو قاضي القضاة محي الدين أبو المعالي محمد بن القاضي زكي علي بن محمد ولد بدمشق عام (٥٥٠هـ/١١٥٥م)، وكان المفضل صلاح الدين، توفي في دمشق عام (٥٩٨هـ/١٢٠١م). ابن خلكان، وفيات الأعيان: ٣/٣٦٤-٣٧١.

(٦) ابن خلكان، وفيات الأعيان: ٣/٣٦٤-٣٧١.

زوجة قيصر شاه:

وهي من بنات الملك العادل لم يذكر الرواة اسمها[١]، وإنما ذكروا زواجها في عام (٥٨٧هـ/١١٩١م)، احتمى بصلاح الدين الأيوبي أحد أبناء قره أرسلان الارتقي وهو معز الدين قيصر شاه بعد أن أخرجه أخوه من ملطية واستولى عليها، فطيّب صلاح الدين خاطره وأكرمه وزوّجه بابنة أخيه العادل وتوسط لإعادة ملطية إليه[٢].

ضيفة خاتون:

بنت الملك العادل، ولدت عام (٥٨١هـ/١١٨٥م)[٣]، بقلعة حلب عندما كان والدها الملك العادل حاكماً عليها، وأشارت المصادر بأن الملك العادل سماها ضيفة[٤]، تيمناً بضيف كان لديه عند ولادتها.

تزوجت عام (٦٠٩هـ/١١١٢م) بابن عمها الظاهر غازي، والذي سبق له أن كان متزوجاً بأختها غازية خاتون، عندما توفيت غازية خاتون، تزوج الملك الظاهر غازي ضيفة، فقد كانت أعز بنات الملك العادل لديه، وقد سبق وأن خطبها جماعة من الأيوبيين فلم يوافق والدها على تزوجيها[٥].

عند زواجها بالملك الظاهر كانت مدركة لطبيعة هذا الزواج في كونه يمثل زواجاً سياسياً الهدف منه تلطيف الأجواء بين والدها العادل وابن أخيه الظاهر[٦].

وعاشت المرحلة التي تلت وفاة زوجها الملك الظاهر عام (٦١٣هـ/١٢١٦م) ووفاة والدها الملك العادل عام (٦١٥هـ/١٢١٨م)[٧].

أصبحت ضيفة خاتون الوصية على العرش عام (٦٣٤هـ/١٢٣٦م)، عن حفيدها الناصر يوسف الثاني، بعد وفاة والده الملك العزيز (٦٣٤هـ/١٢٣٦م)[٨].

---

(١) الحنبلي، شفاء القلوب، ٣٢٩.

(٢) ابن الأثير، الكامل: ١٤٨/٩؛ ابن واصل، مفرج الكروب: ٧٩/٢، ٩٧-٩٨.

(٣) الداوادري، كنز الدرر: ٣٥١/٧؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٩٣؛ الحنبلي، شفاء القلوب، ٣٢٨.

(٤) ابن العديم، زبدة الحلب: ٢٦٦/٣.

(٥) ابن واصل، مفرج الكروب: ٢١٢/٣.

(٦) هاملتون جب، صلاح الدين...دراسات في حضارة الإسلام، تحرير: يوسف ايبش، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (بيروت: ١٩٧٣)، ٢٧٠.

(٧) ابن العديم، زبدة الحلب: ٢٢٥/٣.

(٨) عيسى، حلب، ٩٦.

أصبحت الملكة ضيفة خاتون عماد البيت الأيوبي بعد وفاة أخيها الملك الكامل عام (٦٣٥هـ/١٢٣٧م).

إذ استطاعت أن تمارس سياسة حيادية ومتوازنة مع جميع الأطراف، الأمر الذي جعل مدينة حلب في عهدها تتمتع بمكانة سياسية مرموقة ومؤثرة على حد سواء[١].

توفيت الملكة ضيفة خاتون عام (٦٤٠هـ/١٢٤٢م)[٢] فوافق ولادتها ووفاتها في قلعة حلب[٣]. ولم تبق مع الملك الظاهر إلا ثلاث سنين وشهوراً ثم توفي[٤] وكان عمرها حين وفاتها ٥٩ عاماً[٥].

زهرة خاتون:

بنت الملك العادل[٦]، ولا تذكر المصادر سنة ولادتها ولا حتى سنة وفاتها. ولا بمن اقترنت، إنما تذكر المصادر أن لها أوقافاً كثيرة، وهي من ربات البر والإحسان[٧].

مؤنسة خاتون:

وهي الخاتون الكبيرة المعمرة بنت الملك العادل أبي بكر. كانت ذات عقل وأدب وفطنة[٨]، ولدت مؤنسة خاتون عام (٦٠٣هـ/١٢٠٦م)، وسميت مؤنسة على اسم أبنة عمها صلاح الدين والتي تحمل الاسم نفسه ، توفيت مؤنسة خاتون عام (٦٩٣هـ/١٢٩٣م) بالقاهرة، ودفنت بالغرافة الصغرى[٩].

---

(١) ابن العديم، زبدة الحلب: ٢٣٦/٣-٢٣٨.

(٢) ابن العديم، زبدة الحلب: ٢٦٦/٣؛ ابن واصل، مفرج الكروب: ٣١٢/٥.

(٣) ابن واصل، مفرج الكروب: ٣١٢/٥.

(٤) المصدر نفسه: ٣١٢/٥.

(٥) المصدر نفسه: ٣١٢/٥.

(٦) ابن شداد، الأعلاف الخطيرة: ٣٤٧/٢/١؛ النعيمي، الدارس: ٤١/١.

(٧) ابراهيم طاهر معروف الرباتي، المرآة الكردية في الإسلام ودورها في المجتمع الكردي، (أربيل، ٢٠٠٤)، ص ١٨٠.

(٨) بدر الدين محمود العيني، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، عصر سلاطين المماليك حوادث وتراجم ٦٨٩-٦٩٨هـ/ ١٢٩٠-١٢٩٨م، تحقيق: محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة: ١٩٨٩م): ٤٥.

(٩) الذهبي، تاريخ الإسلام، ٢٠٢؛ ابن كثير، البداية والنهاية: ٣٣٧/١٣.

زوجة علاء الدين كيقباذ:

هي ابنة الملك العادل أبي بكر، تولى علاء الدين كيقباذ السلطنة عام (٦١٦هـ/١٢٢٠م)، واستمرت العلاقة الودية مع سلاجقة الروم، حتى عام (٦٢٨هـ/١٢٦٠م) عندما اتخذوا موقفاً عدائياً ضد الأيوبيين، وقد أدت وفاة السلطان علاء الدين حتى عام (٦٤٣هـ/١٢٤٦م)، إلى اشتداد المنافسة بين أولاده الثلاثة على السلطنة، واستمر ذلك سقوط دولة السلاجقة عام (٧٠٨هـ/١٣٠٨م)[١].

(١) ابن العديم، زبدة الحلب: ٢٣٦/٣.

الخاتمة

توصلت الدراسة إلى النتائج التالية:

١. بينت الدراسة أن الملك العادل وأولاده، امتازوا بالذكاء، والدبلوماسية، وسعة الأفق، والمقدرة على التصرف في المواقف الحرجة والصعبة، وضبط النفس، وعدم التهور، وحبهم للرعية.

٢. استطاعوا انجاز مجموعة من الأعمال الحضارية التي كان لها الريادة فيها من بين ملوك بني أيوب في ذلك العصر.

٣. أظهروا معاضدة بعضهم مثلما ناصر الملك الكامل أخيه الملك المعظم عيسى أثناء حصار دمياط وعدم تخليه عنه، وقدم له المساعدات العسكرية والمعنوية والخطط التي كفلت تحقيق النصر على الفرنجة في دمياط، وأظهروا حرصاً كبيراً في سبيل تحرير دمياط من الفرنجة.

٤. شجعوا على نشر العلوم والمعارف في السلطنة الأيوبية، وبذل العطاء للعلماء والفقهاء والأدباء في سبيل الحفظ والتأليف والتدريس، وأظهروا اهتماماً كبيراً في تحصيل المعرفة، وبنوا لهذه الغاية العديد من المدارس في دمشق وحلب والقدس، مثل المدرسة العادلية، والمدرسة المعظمية، وكذلك مدرسة الفردوس التي بنتها الملكة ضيفة خاتون في حلب.

ملحق

نسب أولاد الملك العادل سيف الدين محمد (٦١٥هـ/١٢١٨م) دمشق

- الأمجد حسن (ت ٦٠٥هـ/١٢٠٨م)
- المغيث عمر (ت ٦٠٦هـ/١٢٠٩م).
- الأوحد أيوب (ت ٦٠٩هـ/١٢١٢م).
- الفائز إبراهيم (ت ٦١٧هـ/١٢٢٠م).
- المفضل احمد (ت ٦١٩هـ/١٢٢٢م).
- المعظم عيسى (ت ٦٢٤هـ/١٢٢٧م) صاحب دمشق.
- الأشرف موسى (ت ٦٣٥هـ/١٢٣٧م) صاحب الجزيرة.
- الكامل محمد (ت ٦٣٥هـ/١٢٣٧م) صاحب مصر.
- العزيز عثمان (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م) صاحب بعلبك.
- الحافظ أرسلان شاه (ت ٦٤٠هـ/١٢٤٢م) صاحب قلعة جعبر.
- المظفر غازي (ت ٦٤٥هـ/١٢٤٧م) صاحب ميافارقين.
- الصالح إسماعيل (ت ٦٤٨هـ/١٢٥٠م).
- المعز يعقوب (ت ٦٥٤هـ/١٢٥٦م).
- المغيث محمود (لم تشر المصادر المتوفرة لسنة وفاته).
- الناصر خليل (كان أصغر أبناء الملك العادل).
- القاهر إسحاق (ت ٦٢٨هـ/١٢٣٠م).
- الأمجد عباس (ت ٦٦٩هـ/١٢٧٠م).
- زوجة قلج أرسلان–صاحب سلاجقة الروم–تزوجها (ت ٥٨٧هـ/١١٩١م).
- ملكة خاتون زوجة الملك المنصور–صاحب حماة.
- غازية خاتون زوجة الملك الظاهر (ت ٦٠٤هـ/١٢٠٧م).
- ضيفة خاتون زوجة الملك الظاهر غازي (ت ٦٤٠هـ/١٢٤٢م).
- زوجة الملك العزيز الأول (لم تحدد المصادر اسمها).
- زوجة الملك العزيز الثانية (لم تحدد المصادر اسمها).

ثبت المصادر

أولاً: المصادر العربية

- التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية، عز الدين أبي الحسن علي بن محمد ابن الأثير (ت٦٣٠هـ/١٢٣٤م)، تحقيق: عبد القادر احمد طليمات، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ١٩٦٣.
- جوامع السيرة وخمس رسائل أخرى لابن حزم، علي بن احمد الأندلسي، ط١، (مصر، دار المعارف)، ٢٠١٠.
- الكامل في التاريخ، عز الدين أبي الحسن علي بن محمد ابن الأثير (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م)، دار صادر، بيروت، ١٩٦٦.
- بدائع الزهور في وقائع الدهور، محمد بن احمد بن اياس (ت ٩٣٠هـ/١٥٢٣م)، مطابع الشعب، القاهرة، ١٩٦٠.
- سنا البرق الشامي، وهو مختصر للبرق الشامي، الفتح بن علي بن محمد البنداري (ت٦٤٣هـ/١٢٤٤م)، تحقيق: فتحية النبراوي، مطبعة الخانجي، القاهرة، ١٩٧٩.
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، جمال الدين أبو المحاسن يوسف ابن تغري بردي (ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م)، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، (د/ت).
- شفاء القلوب في مناقب بني أيوب، احمد بن ابراهيم الحنبلي (ت ٨٧٦هـ/١٤٧١م)، تحقيق: ناظم رشيد، دار الحرية للطباعة والنشر، بغداد، ١٩٧٨.
- شذرات الذهب في أخبار مَن ذهب، أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي (ت١٠٨٩هـ/١٦٧٨م)، دار المسيرة، بيروت، ط٢، ١٩٧٩.
- وفيات الأعيان وأبناء أبناء الزمان، شمس الدين احمد بن محمد بن أبي كبر ابن خلكان (ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م)، تحقيق: احسان عباس، دار صادر، بيروت، (د/ت).
- التاريخ الإسلامي المختصر، شهاب الدين أبو اسحق بن ابراهيم ابن ابي الدم (ت٦٤٢هـ/١٢٤٤م)، تحقيق: جزيل عبد الجبار الجومرد، اسكوتلندة، ١٩٨٤.
- كنز الدرر وجامع الغرر، أبي بكر بن عبد الله بن أيبك الداوادار (ت ٧٣٥هـ/١٣٣٤م)، تحقيق: سعيد عبد الفتاح عاشور، دار احياء الكتب، القاهرة، ١٩٧٢.
- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م)، تحقيق: بشار عواد معروف وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٨.

- سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م)، تحقيق: بشار عواد معروف ومحي هلال السرحان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٦.
- مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قزاوغلو سبط ابن الجوزي (ت ٦٥٤هـ/١٢٥٦م)، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ١٩٥١.
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م)، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، المكتبة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٦٤.
- الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٢م)، باعتناء: س.ديرديغ، مطبعة وزارة المعارف، استانبول، ١٩٤٩.
- زبدة الحلب في تاريخ حلب، كمال الدين ابي القاسم عمر بن احمد بن هبة الله ابن العديم (ت ٦٦٠هـ/١٢٦١م)، تحقيق: سامي الدهان، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٦٨.
- المختصر في أخبار البشر، عماد الدين إسماعيل أبو الفداء (ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م)، المطبعة الحسينية المصرية، القاهرة، ط١، (د/ت).
- البداية والنهاية، اسماعيل بن عمر الدمشقي ابن كثير (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٣م)، دار ابن كثير، بيروت، ١٩٦٧.
- السلوك لمعرفة دول الملوك، احمد بن علي المقريزي (ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م)، تحقيق: محمد مصطفى زيادة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط٢، ١٩٥٦.
- الدارس في تاريخ المدارس، عبد القادر بن محمد النعيمي (ت ٩٢٧هـ/١٥٢٠م)، تحقيق: جعفر الحسني، مطبوعات المجمع العلمي العربي، مطبعة الترقي، دمشق، ١٩٥١.
- مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، جمال الدين محمد بن سالم (ت ٦٩٧هـ/١٢٩٧م)، تحقيق: جمال الدين الشيال، الجزء الثاني، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩٥٧.
- التكملة لوفيات النقلة، زكي الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي المنذري (ت٦٥٦هـ/١٢٥٨م)، تحقيق: بشار عواد معروف، مطبعة النجف الأشرف، الجزء الثاني، النجف، ١٩٦٩.
- تاريخ الحروب الصليبية، ستيفن رنسيمان، ترجمة: الباز العريني، الجزء الثاني، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٨.
- سياسة صلاح الدين في بلاد مصر والشام والجزيرة، دريد عبد القادر نوري، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٧٦.

- الحروب الصليبية، ويست انتوني، ترجمة: شكري محمود نديم، النبراس للنشر والتوزيع بمشاركة مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، بغداد، نيويورك، ١٩٦٧.
- الملك العادل الأيوبي دراسة سياسية عسكرية (٥٧٠-٦١٥هـ/١١٧٤-١٢١٨م)، هيثم محمود يونس طيبان الحمداني، رسالة ماجستير.
- معجم البلدان، شهاب الدين بن عبدالله الرومي ياقوت الحموي (ت٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م)، دار صادر، (بيروت، ١٩٥٧م).
- عصر الملك الكامل الأيوبي، ذكرى عزيز الصائغ، رسالة ماجستير مقدمة إلى مجلس كلية الآداب، جامعة الموصل، ١٩٨٨.
- مرآة الجنان وعبرة اليقظان، أبو محمد عبدالله بن أسعد المكي اليافعي، (الهند: ١٣٣٩هـ).
- عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، عصر سلاطين المماليك حوادث وتراجم ٦٨٩-٦٩٨هـ/ ١٢٩٠-١٢٩٨م، بدر الدين محمود العيني، تحقيق: محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة: ١٩٨٩م).

ثانياً: المصادر الأجنبية

- Historie des croisdeset Duroyaume frame De Gerusalem, Rene. Grossest, (Paris: 1935).